

فن الفكاهة والمرح (الكوميديا)

الحياة رحلة شاقة ، حافلة بالمتاعب والآلام ،
ولا يسلم امرؤ فيها من تجرع لون أو ألوان من غصصها ،
ومكابدة آلامها ، وإن وُلِدَ وفي فمه ملعقة من ذهب ، كما
يقولون .

وقد أشار القرآن إلى ذلك حين قال : ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا
الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ ﴾ (١) .

وأهل الإيمان أكثر تعرضاً لبلاء الدنيا من غيرهم ، نظراً
لخطورة مطلبهم ، من ناحية ، وكثرة من يعارضهم ويقطع
عليهم طريقهم من ناحية أخرى .

حتى ورد في بعض الآثار : « المؤمن بين خمس شدائد :

(١) البلد : ٤

مسلم يحسده ، ومنافق يبغضه ، وكافر يقاتله ، وشيطان
يضلّه ، ونفس تنازعه » .

وثبت فى الحديث أن أشد الناس بلاءً : الأنبياء ثم
الأمثل فالأمثل .

لهذا كان الناس - كل الناس - فى حاجة إلى واحات
فى طريقهم تخفف عنهم بعض عناء رحلة الحياة ، وكان
لا بد لهم من أشياء يروحون بها أنفسهم ، حتى يضحكوا
ويفرحوا ويمرحوا ، ولا يغلب عليهم الغم والحزن والنكد ،
فينغص عليهم عيشتهم ، ويكدر عليهم صفوهم .

وكان من تلك الأدوات : الغناء ، وقد تحدّثنا عنه .

ومنها : الفكاهة والمرح ، وكل ما يستخرج الضحك من
الإنسان ، ويطارد الحزن من قلبه ، والعبوس من وجهه ،
والكآبة من حياته .

فهل يرحب الدين بهذا الفن « الكوميدى » أو يضيق به ؟
هل يحله أو يحرمه ؟



● الفكاهة والمرح فى واقع المسلمين :

وقد رأيت الناس - بفطرتهم - وعلى قدر ما سمحت به إمكانياتهم ، وفى ضوء ما عرفوه من سماحة دينهم - قد ابتكروا ألواناً من الوسائل والأدوات التى تقوم بوظيفة الترويح والإضحاك لهم .

من ذلك : « النكت » التى برع فيها المصريون ، واشتهروا بها بين الشعوب ، وهى أنواع مختلفة ، ولها مهمات متعددة ، ومنها : « النكت السياسية » التى تهزأ بالحُكَّام وأعوانهم ، وخصوصاً فى أوقات التسلط والاستبداد السياسى .

ولا يكاد يجلس الناس بعضهم إلى بعض إلا حكوا من هذه النكت ما يضحكهم ويسرى عنهم بعض ما يعانون . أحياناً يسندونها إلى أسماء معروفة ، مثل جحا ، أو أبى نواس ، أو غيرهما ، وأحياناً لا ينسبونها إلى معين .

وهناك أناس لا يقتصرون على حكاية النكت عن غيرهم ، بل هم ينشئون نكتاً على البديهة ، وهذا شأن الشخصيات

الفكهة ، مثل « أشعب » قديماً ، ومثل الشيخ « عبد العزيز
البشرى » حديثاً فى مصر .

وكانت فى مصر بعض المجلات المتخصصة فى هذا
اللّون ، أشهرها مجلة « البعكوة » .

ويلحق بذلك فن « القفشات » وما يسميه المصريون
« الدخول فى قافية » ، وهو لون من استخدام المجاز
والتورية حول موضوع واحد ، يتطرح فيه الطرفان .

ومن ذلك : ألوان من الألعاب التى تدعو إلى الضحك
والمرح ، مثل لعبة « الأراجوز » .

ومثله « خيال الظل » الذى كان يُعتبر نوعاً من التمثيل
الشعبى الفكاهى .

ومن ذلك : الألغاز والأحاجى ، أو ما يسمى فى لغة
العامة « الفوازير » .

ومن ذلك : القصص الفكاهية ، أو ما يسميه
العوام « الحواديت » المسلية والمرفهة .

ومن ذلك : « الأمثال الشعبية » التى كثيراً ما تتضمن
أفكاراً أو تعبيرات تبعث على الضحك والمرح . . .

إلى غير ذلك من الألوان ، التى تخترعها الشعوب
بوساطة فنانين معروفين أو مجهولين غالباً ، ملائمة لكل
بيئة وما يسودها من قيم ومفاهيم ، وما تمر به من ظروف
وأحوال .

وكل عصر يضيف أشياء جديدة ، ويُطوِّر الأشياء
القديمة ، وقد يستغنى عن بعضها .

كما نرى فى عصرنا فن « الكاريكاتير » الذى حوّل
النكتة من مجرد كلمة تُقال ، إلى صورة معبرة ،
مصحوبة ببعض الكلام ، أو غير مصحوبة .

وقد سئلت عن موقف الدين من الضحك والمرح
والفكاهة ، نظراً لما يبدو على بعض المتدينين من العبوس
والتجهّم ، فيكادون لا يضحكون ، ولا يمزحون ، حتى
حسب بعض الناس أن هذه هى طبيعة الدين والتدين .

وكان جوابى : أن الضحك من خصائص الإنسان ،
فالحيوانات لا تضحك ؛ لأن الضحك يأتى بعد نوع من الفهم
والمعرفة لقول يسمعه ، أو موقف يراه ، فيضحك منه .

ولهذا قيل : الإنسان حيوان ضاحك ، ويصدق القول
هنا : أنا أضحك ، إذن أنا إنسان .

والإسلام - بوصفه دين الفطرة - لا يُتصور منه أن
يصادر نزوع الإنسان الفطرى إلى الضحك والانبساط ، بل
هو على العكس يرحب بكل ما يجعل الحياة باسمية طيبة ،
ويحب للمسلم أن تكون شخصيته متفائلة باشّة ، ويكره
الشخصية المكتئبة المتطيرة ، التى لا تنظر إلى الحياة والناس
إلا من خلال منظار قاتم أسود .

وأُسوة المسلمين فى ذلك هو رسول الله ﷺ ، فقد كان
- برغم همومه الكثيرة والمتنوعة - يمزح ولا يقول إلا حقاً ،
ويحيا مع أصحابه حياة فطرية عادية ، يشاركونهم فى
ضحكهم ولعبهم ومزاحهم ، كما يشاركونهم آلامهم
وأحزانهم ومصائبهم .

يقول زيد بن ثابت ، وقد طُلب إليه أن يحدثهم عن
حال رسول الله ﷺ فقال : « كنت جاره ، فكان إذا نزل
عليه الوحي بعث إلىّ فكتبت له ، فكان إذا ذكرنا الدنيا
ذكرها معنا ، وإذا ذكرنا الآخرة ذكرها معنا ، وإذا ذكرنا

الطعام ذكره معنا ، قال : فكل هذا أحدثكم عن رسول الله ﷺ » (١) .

وقد وصفه أصحابه بأنه كان من أفكه الناس (٢) .

وقد رأيناه فى بيته - صلى الله عليه وسلم - يمازح زوجاته ويداعبن ، ويستمتع إلى أقاصيصهن ، كما فى حديث أم زرع الشهير فى صحيح البخارى .

وكما رأينا فى تسابقه مع عائشة رضى الله عنها ، حيث سبقته مرة ، وبعد مدة تسابقا فسبقها ، فقال لها : « هذه بتلك » !

وقد روى أنه وطأ ظهره لسبطيه الحسن والحسين ، فى طفولتهما ليركبا ، ويستمتعا دون تزمت ولا تحرج ، وقد دخل عليه أحد الصحابة ورأى هذا المشهد فقال : نِعَمَ المركب ركبتما ، فقال عليه الصلاة والسلام : « وَنِعَمَ الفارسان هما » !

ورأيناه يمزح مع تلك المرأة العجوز التى جاءت تقول له :

(١) رواه الطبرانى بإسناده حسن كما فى « مجمع الزوائد » : ١٧/٩

(٢) ذكره فى « كنز العمال » برقم (١٨٤٠٠) .

ادع الله أن يُدخلني الجنة ، فقال لها : « يا أم فلان ؛ إنَّ الجنة لا يدخلها عجوز » ! فبكت المرأة ، حيث أخذت الكلام على ظاهره ، فأفهمها : أنها حين تدخل الجنة لن تدخلها عجوزاً ، بل شابة حسناء .

وتلا عليها قول الله تعالى في نساء الجنة : ﴿ إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنِشَاءً * فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَاراً * غُرُباً أَتْرَاباً ﴾ (١) .

وجاء رجل يسأله أن يحمله على بعير ، فقال له عليه الصلاة والسلام : « لا أحملك إلا على ولد الناقة » ! فقال : يا رسول الله ؛ وماذا أصنع بولد الناقة ؟! - انصرف ذهنه إلى الحوار الصغير - فقال : « وهل تلد الإبل إلا النوق » ؟ (٢) .

وقال زيد بن أسلم : إن امرأة يقال لها أم أيمن جاءت

(١) الواقعة : ٣٥ - ٣٧ ، والحديث أخرجه الترمذى فى « الشمائل » ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر والبيهقى وغيرهم ، وحسنه الألبانى فى « غاية المرام » .

(٢) رواه الترمذى ، وقال : حسن صحيح وأخرجه أبو داود أيضاً .

إلى النبي ﷺ فقالت : إن زوجي يدعوك ، قال : « ومن هو ؟ أهو الذى بعينه بياض » ؟ قالت : والله ما بعينه بياض ! فقال : « بلى إن بعينه بياضاً » فقالت : لا والله ، فقال صلى الله عليه وسلم : « ما من أحد إلا بعينه بياض » (١) ، وأراد به البياض المحيط بالحدقة .

وقال أنس : كان لأبى طلحة ابن يقال له أبو عمير ، وكان رسول الله ﷺ يأتيهم ويقول : « يا أبا عمير ؛ ما فعل النغير » ؟ (٢) لنغير كان يلعب به وهو فرخ العصفور .

وقالت عائشة رضى الله عنها : كان عندى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسودة بنت زمعة فصنعت حريرة (دقيق يُطبخ بلبن أو دسم) وجئت به ، فقلت لسودة : كلى ، فقالت : لا أحبه ، فقلت : والله لتأكلن أو لألطخن به وجهك ، فقالت : ما أنا بذائقتة ، فأخذت بيدي من الصحيفة شيئاً منه فلطخت به وجهها ، ورسول الله ﷺ

(١) أخرجه الزبير بن بكار فى كتاب « الفكاهة والمرح » ، ورواه ابن أبى الدنيا من حديث عبدة بن سهم الفهري مع اختلاف ، كما ذكر العراقى فى « تخريج الإحياء » .
(٢) متفق عليه .

جالس بينى وبينها ، فخفض لها رسول الله ﷺ ركبته
لtestقيد منى ، فتناولت من الصفحة شيئاً فمسحت به
وجهى ! وجعل رسول الله ﷺ يضحك (١) .

وروى أن الضحّاك بن سفيان الكلابى كان رجلاً دميماً
قبيحاً ، فلما بايعه النبى ﷺ قال : إن عندى امرأتين
أحسن من هذه الحميراء - وذلك قبل أن تنزل آية الحجاب
- أفلا أنزل لك عن إحداهما فتتزوجها ! - وعائشة جالسة
تسمع - فقالت : أهى أحسن أم أنت ؟ فقال : بل أنا
أحسن منها وأكرم ، فضحك رسول الله ﷺ من سؤالها
إياه ؛ لأنه كان دميماً (٢) .

وكان صلى الله عليه وسلم يحب إشاعة السرور والبهجة

(١) أخرجه الزبير بن بكار فى كتاب « الفكاهة والمرح » ،
وأبو يعلى بإسناد جيد كما فى « تخريج الإحياء » .

(٢) قال الحافظ العراقى : أخرجه الزبير بن بكار فى « الفكاهة
والمرح » من رواية عبد الله بن حسن مرسلأ أو معضلاً ،
وللدaraqطنى نحو هذه القصة مع عيينة بن حصن الفزارى بعد نزول
الحجاب من حديث أبى هريرة .

فى حياة الناس ، وخصوصاً فى المناسبات مثل الأعياد والأعراس .

ولما أنكر الصديق أبو بكر رضى الله عنه غناء الجاريتين يوم العيد فى بيته وانتهرهما ، قال له : « دعهما يا أبا بكر ، فإنها أيام عيد » !

وفى بعض الروايات : « حتى يعلم يهود أن فى ديننا فسحة » .

وقد أذن للحبشة أن يلعبوا بحرابهم فى مسجده عليه الصلاة والسلام فى أحد أيام الأعياد ، وكان يحرضهم ويقول : « دونكم يا بنى أرفدة » !

وأتاح لعائشة أن تنظر إليهم من خلفه ، وهم يلعبون ويرقصون ، ولم ير فى ذلك بأساً ولا حرجاً .

واستنكر يوماً أن تُزف فتاة إلى زوجها زفافاً صامتاً ، لم يصحبه لهو ولا غناء ، وقال : « هَلَّا كان معها لهو ؟ فإن الأنصار يعجبهم اللهو ، أو الغزل » .

وفى بعض الروايات : « هَلَّا بعثتم معها من تغنى وتقول : أتيناكم أتيناكم .. فحيونا نحييكم » .

وكان أصحاب النبي ﷺ ومن تبعهم بإحسان في خير
قرون الأمة يضحكون ويمزحون ، اقتداءً بنبيهم ﷺ ،
واهتداءً بهديه . حتى إن رجلاً مثل عمر بن الخطاب -
على ما عُرف عنه من الصرامة والشدة - يُروى عنه أنه
مازح جارية له ، فقال لها : خلقتي خالق الكرام ،
وخلقتك خالق اللئام ! فلما رآها ابتأست من هذا
القول ، قال لها مبيناً : وهل خالق الكرام واللئام إلا الله
عزَّ وجلَّ ؟؟

وقد عُرف بعضهم بذلك في حياته - صلى الله عليه
وسلم - وأقرَّه عليه ، واستمر على ذلك من بعده ، وقبله
الصحابة ، ولم يجدوا فيه ما يُنكر ، برغم أن بعض
الوقائع المروية في ذلك لو حدثت اليوم لأنكرها معظم
المتدينين أشد الإنكار ، وعدُّوا فاعلها من الفاسقين أو المنحرفين !

من هؤلاء المعروفين بروح المرح والفكاهة والميل إلى
الضحك والمزاح : النعيمان بن عمر الأنصارى رضى الله
عنه ، الذى رويت عنه فى ذلك نواذر عجيبة وغريبة .

وقد ذكروا أنه كان ممن شهد العقبة الأخيرة ، وشهد بدرأً وأُحُدًّا ، والخنندق ، والمشاهد كلها .

روى عنه الزبير بن بكار عدداً من النوادر الطريفة فى كتابه « الفكاهة والمرح » نذكر بعضاً منها . . .

قال : وكان لا يدخل المدينة طُرْفَةً إلا اشترى منها ، ثم جاء بها إلى النبى ﷺ فيقول : هذا أهديته لك ، فإذا جاء صاحبها يطلب نعيمان بثمانها ، أحضره إلى النبى ﷺ ، قائلاً : أعط هذا ثمن متاعه ، فيقول : « أو لم تهده لى ؟ » فيقول : إنه والله لم يكن عندى ثمنه ، ولقد أحببت أن تأكله ! فيضحك ، ويأمر لصاحبه بثمانه .

وأخرج الزبير قصة أخرى من طريق ربيعة بن عثمان قال : دخل أعرابى على النبى ﷺ ، وأناخ ناقته بفنائها ، فقال بعض الصحابة للنعيمان الأنصارى : لو عقرتها فأكلناها ، فإننا قد قرمنا إلى اللحم ؟ ففعل ، فخرج الأعرابى وصاح : واعقراه يا محمد ! فخرج النبى ﷺ فقال : « مَنْ فعل هذا ؟ » فقالوا : النعيمان ، فأتبعه يسأل عنه حتى وجده قد دخل دار ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب ،

واستخفى تحت سرب لها فوقه جريد ، فأشار رجل إلى
النبي ﷺ حيث هو فأخرجه فقال له : « ما حملك على
ما صنعت » ؟ قال : الذين دلوك علىّ يا رسول الله هم
الذين أمروني بذلك ، قال : فجعل يمسح التراب عن
وجهه ويضحك ، ثم غَرَمَهَا للأعرابي .

وقال الزبير أيضاً : حدثني عمي عن جدي قال : كان
مخرمة بن نوفل قد بلغ مائة وخمس عشرة سنة ، فقام في
المسجد يريد أن يبول ، فصاح به الناس ، المسجد المسجد ،
فأخذه نعيمان بن عمرو بيده ، وتنحى به ، ثم أجلسه في
ناحية أخرى من المسجد فقال له : بل هنا ، قال : فصاح
به الناس فقال : ويحكم ، فمن أتى بي إلى هذا الموضع ؟ !
قالوا : نعيمان ، قال : أما إنَّ الله علىّ إن ظفرتُ به أن
أضربه بعصاى هذه ضربة تبلغ منه ما بلغت ! فبلغ ذلك
نعيمان ، فمكث ما شاء الله ، ثم أتاه يوماً ، وعثمان قائم
يصلى في ناحية المسجد ، فقال لمخرمة : هل لك في
نعيمان ؟ قال : نعم ، قال : فأخذه بيده حتى أوقفه على
عثمان ، وكان إذا صلى لا يلتفت فقال : دونك هذا نعيمان ،

فجمع يده بعصاه ، فضرب عثمان فشجّه ، فصاحوا به :
ضربت أمير المؤمنين ! فذكر بقية القصة (١) .

ومن الطرائف أن صحابياً آخر من أهل الفكاهة والمزاح ،
استطاع أن يوقع نعيماً في بعض ما أوقع فيه غيره من « المقلب »
كما في قصة سويبط بن حرملة معه ، وكان ممن شهد بدرأ
أيضاً ، قال ابن عبد البر في « الاستيعاب » في ترجمة
سويبط رضى الله عنه : وكان مزاحاً يفرط في الدعابة ،
وله قصة ظريفة مع نعيماً وأبى بكر الصديق رضى الله
عنهم ، نذكرها لما فيها من الظرف ، وحسن الخلق .

روى عن أم سلمة قالت : خرج أبو بكر الصديق
رضى الله عنه في تجارة إلى بصرى قبل موت النبي ﷺ
بعام ، ومعه نعيماً وسويبط بن حرملة ، وكانا قد شهدا
بدرأ ، وكان نعيماً على الزاد ، فقال له سويبط - وكان
رجلاً مزاحاً - : أطعمنى ، فقال : لا حتى يجئ أبو بكر

(١) ذكر هذه القصص الحافظ ابن حجر في ترجمة نعيماً من
كتابه « الإصابة » نقلاً عن كتاب الزبير بن بكار في كتابه
« الفكاهة والمرح » .

رضى الله عنه ، فقال : أما والله لأغيظنك ، فمروا بقوم فقال لهم سويبط : تشترون منى عبداً ؟ قالوا : نعم ، قال : إنه عبد له كلام ، وهو قائل لكم : إني حر ، فإن كنتم إذا قال لكم هذه المقالة تركتموه ، فلا تُفسدوا علىَّ عبدى ، قالوا : بل نشتره منك ، قال : فاشتروه منه بعشر قلائص ، قال : فجاءوا فوضعوا فى عنقه عمامة أو حبلاً ، فقال نعيمان : إنَّ هذا يستهزئ بكم ، وإني حر ، لست بعبد ، قالوا : قد أخبرنا خبرك ، فانطلقوا به ، فجاء أبو بكر رضى الله عنه ، فأخبره سويبط فأتبعهم ، فرد عليهم القلائص ، وأخذه ، فلما قدموا على النبي ﷺ أخبروه قال : فضحك النبي ﷺ وأصحابه منها حولاً (١) .



(١) أخرجه ابن أبى شيبة وابن ماجه ، وأخرجه أبو داود الطيالسى والرويانى فجعلنا المازح هو النعيمان والمبتاع سويبطاً ، كما فى ترجمته فى « الإصابة » .

● موقف المتشددين :

ولا ريب أن هناك من الحكماء والأدباء والشعراء مَنْ ذمَّ المزاج ، وحذّر من سوء عاقبته ، ونظر إلى جانب الخطر والضرر فيه ، وأغفل الجوانب الأخرى .

ولكن ما جاء عن رسول الله ﷺ وأصحابه أحق أن يتبع ، وهو يمثل التوازن والاعتدال .

وقد قال الحنظلة حين فزع من تغير حاله في بيته عن حاله مع رسول الله ﷺ ، واتهم نفسه بالنفاق : « يا حنظلة ؛ لو دتم على الحال التي تكونون عليها عندي لصافحتكم الملائكة في الطرقات ، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة » .. وهذه هي الفطرة ، وهذا هو العدل .

روى ابن أبي شيبة عن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال : لم يكن أصحاب رسول الله ﷺ متحزقين ولا متماوتين . كانوا يتناشدون الأشعار ، ويذكرون أمر جاهليتهم ، فإذا أريد أحدهم على شيء من أمر دينه دارت حماليق عينيه كأنه مجنون (١) .

(١) المصنف لابن أبي شيبة : ٧١١/٨ بلفظ : « منحرفين » بدل « متحزقين » والتصويب من غريب الحديث للخطابي : ٤٩/٣

والتحزق كما يقول الإمام الخطابي : التجمع وشدة
التقبض .

وفى النهاية لابن الأثير : متحزقين : أى منقبضين
ومجتمعين .

وسئل ابن سيرين عن الصحابة : هل كانوا يتمازحون ؟
فقال : ما كانوا إلا كالناس . كان ابن عمر يمزح وينشد
الشعر (١) .

وبهذا يكون موقف أولئك النفر من المتدينين أو المتحمسين
للدين ، وعبوسهم وتجهمهم الذى ظنه البعض من صميم
الدين ، لا يمثل حقيقة الدين فى شىء ، ولا يتفق مع
هدى الرسول الكريم وأصحابه .

إنما يرجع إلى سوء فهمهم للإسلام ، أو لطبيعتهم
الشخصية ، أو لظروف نشأتهم وتربيتهم .

وعلى كل حال ، لا يجهل مسلم أن الإسلام لا يؤخذ
من سلوك فرد أو مجموعة من الناس ، يخطئون ويصيبون .

(١) رواه أبو نعيم فى الحلية : ٢٧٥ / ٢

والإسلام حُجَّةٌ عليهم ، وليسوا هم حُجَّةٌ على الإسلام ،
إنما يؤخذ الإسلام من القرآن والسُّنَّة الثابتة .



● حدود المشروعية فى الضحك والمزاح :

إن الضحك والمرح والمزاح أمر مشروع فى الإسلام ،
كما دلَّت على ذلك النصوص القولية ، والمواقف العملية
للمرسول الكريم ﷺ وأصحابه رضى الله عنهم .

وما ذلك إلا لحاجة الفطرة الإنسانية إلى شىء من
الترويح يخفف عنها لأواء الحياة وقسوتها ، وتشعب
همومها وأعبائها .

كما أن هذا الضرب من اللُّهُو والترفيه يقوم بمهمة
التنشيط للنفس ، حتى تستطيع مواصلة السير والمضى فى
طريق العمل الطويل ، كما يريح الإنسان دابته فى السفر ،
حتى لا تنقطع به .

فمشروعية الضحك والمرح والمزاح لا شك فيها فى
الأصل ، ولكنها مقيدة بقيود وشروط لا بد أن تُراعَى :

أولها : ألا يكون الكذب والاختلاق أداة الإضحاك للناس ، كما يفعل بعض الناس فى أول إبريل (نيسان) فيما يسمونه « كذبة إبريل » .

ولهذا قال صلى الله عليه وسلم : « ويل للذى يُحدث فيكذب ، ليُضحك القوم ، ويل له ، ويل له ، ويل له » (١) .

وقد كان صلى الله عليه وسلم يمزح ولا يقول إلا حقاً .

ثانياً : ألا يشتمل على تحقير لإنسان آخر ، أو استهزاء به وسخرية منه ، إلا إذا أذن بذلك ورضى .

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّنْ نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ ، بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ ﴾ (٢) .

وجاء فى صحيح مسلم : « بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم » .

(١) رواه أبو داود والترمذى وحسنه والنسائى عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده .

(٢) الحجرات : ١١

وذكرت عائشة أمام النبي ﷺ إحدى ضرائرها ،
فوصفتها بالقصر تعيها به ، فقال : « يا عائشة ؛ لقد قلت
كلمة لو مُرِجت بماء البحر لمُرِجته » .

قالت : وحكيت له إنساناً - أى قلّدتَه فى حركته أو
صوته أو نحو ذلك - فقال : « ما أحب أنى حكيت
إنساناً وأن لى كذا وكذا » (١) .

ثالثاً : ألا يترتب عليه تفريع وترويع لمسلم .

فقد روى أبو داود عن عبد الرحمن بن أبى لىلى قال :
حدثنا أصحاب محمد ﷺ ، أنهم كانوا يسرون مع النبى
صلى الله عليه وسلم فقام رجل منهم ، فانطلق بعضهم
إلى جبل معه فأخذه ، ففزع ، فقال رسول الله ﷺ :
« لا يحل لرجل أن يروع مسلماً » .

وعن النعمان بن بشير قال : كنا مع رسول الله ﷺ فى
مسير ، فحفق رجل على راحلته (أى نعس) فأخذ رجل
سهماً من كنانته فانتبه الرجل ، ففزع ، فقال رسول الله

(١) رواه أبو داود والترمذى ، وقال : حسن صحيح .

صلى الله عليه وسلم : « لا يحل لرجل أن يروع مسلماً » (١) . . . والسياق يدل على أن الذى فعل ذلك كان يمازحه .

وقد جاء فى الحديث الآخر : « لا يأخذ أحدكم متاع أخيه لاعباً ولا جاداً » (٢) .

رابعاً : ألا يهزل فى موضع الجلد ، ولا يضحك فى مجال يستوجب البكاء ، فلكل شئ أوانه ، ولكل أمر مكانه ، ولكل مقام مقال . والحكمة وضع الشئ فى موضعه المناسب .

ومن ممدوح الشعراء :

إذا جدَّ عند الجِدِّ أرضاك جدّه

وذو باطل إن شئتَ أهلك باطله !

والباطل هنا يقصد به اللّهُو والمرح .

وقال آخر :

أهازلُ حيث الهزل يحسن بالفتى

وإنى إذا جدَّ الرجال لذو جد !

(١) رواه الطبرانى فى « الكبير » ورواه ثقات .

(٢) رواه الترمذى وحسنه .

وروى الأصمعى أنه رأى امرأة بالبادية تصلى على
سجادتها خاشعة ضارعة ، فلما فرغت وقفت أمام المرأة
تتجمل وتزين ، فقال لها : أين هذه من تلك ؟
فأنشدت تقول :

ولله منى جانب لا أضيعه وللله منى والبطالة جانب !
قال : فعرفت أنها امرأة عابدة لها زوج تتجمل له .
وقد عاب الله تعالى على المشركين أنهم كانوا يضحكون
عند سماع القرآن وكان أولى بهم أن يبكوا ، فقال تعالى :
﴿ أَفَمَنْ هَذَا الْحَدِيثَ تَعْجَبُونَ * وَتَضْحَكُونَ وَلَا
تَبْكُونَ * وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ ﴾ (١) .

خامساً : أن يكون ذلك بقدر معقول ، وفى حدود
الاعتدال والتوازن ، الذى تقبله الفطرة السليمة ، ويرضاه
العقل الرشيد ، ويلائم المجتمع الإيجابى العامل .
والإسلام يكره الغلو والإسراف فى كل شىء ، ولو فى
العبادة ، فكيف باللهو والمرح ؟!

(١) النجم : ٥٩ - ٦١

ولهذا كان التوجيه النبوى : « ولا تكثر من الضحك
فإن كثرة الضحك تميت القلب » ؛ فالمنهى عنه هو الإكثار
والمبالغة .

وقد ورد عن علىّ رضى الله عنه قوله : « أعط الكلام
من المزح ، بمقدار ما تعطى الطعام من الملح » .

وهو قول حكيم ، يدل على عدم الاستغناء عن المزح ،
كما يدل على ضرر الإفراط فيه .

وخير الأمور هو الوسط دائماً ، وهو نهج الإسلام
وخصيسته الكبرى ، ومناطق فضل أُمته على غيرها (١) .



(١) انظر : كتابنا « فتاوى معاصرة » : ٤٤٥/٢ - ٤٥٧ ،
طبع دار الوفاء .